

## تعقيب وملاحظات ختامية على ندوة احتفالية جائزة حسن فتحى للعمارة 2010 بمكتبة الإسكندرية فى 2010/12/15

بداية .. شكرا لمكتبة الإسكندرية على استضافتها هذا الحدث الكريم ، وحسنا فعلت بدعمها مبادرة لجنة العمارة بالمجلس الأعلى للثقافة لإنشاء جائزة دورية فى العمارة، إحياء لذكرى الراحل العظيم حسن فتحى،..

ان ظاهرة حسن فتحى .. لم يكن ممكنا لها أن توجد ، إلا فى حضور ذلك الزخم الثقافى العلمى الذى كان سائداً فى المجتمع المصرى خلال حقبة ماضية ، حيث تهيأت لحسن فتحى وأقرانه من جيل العظماء خلال تلك الحقبة المذكورة .. فرص لم تتكرر لتألق الفكر وازدهار القيم ووضوح الرؤى .. كل ذلك من خلال بناء مجتمعى وطنى متلاحم لم تصبه أمراض العشوائية أو العدائية والتطرف ،..

ودون العودة إلى تاريخ سحيق أو حتى قديم نوعا، فإنه يجدر استرجاع جذور الحقبة المذكورة بالتوقف عند محطة هامة من محطات تاريخ مصر المعاصر، تلك التى واكبت حملة نابليون بونابرت.. "الغازى المستنير" لمصر عام 1798 ، بجيوشه وعلمائه فى آن واحد .. حيث جذبته حضارة أرض الفراغة، وأراد بذلك الغزو أن ينقل إليها أو منها، كثيراً من العلم والثقافة، وأمر عُلمائه بتسجيل تراث مصر الحضارى والطبيعى تسجيلا دقيقاً، حيث تُرجم ذلك السجل فى شكل أحد أعظم المراجع العلمية على الإطلاق وهو "وصف مصر"، كما عرفت مصر على يد نابليون طرق الطباعة الحديثة، التى أتاحت لكل من احتاج إلى الكتابة أو النشر فى عمله إمكانيات كبيرة لم تتوفر من قبل ،..

لقد كانت مغامرة بونابرت فى مصر بمقاييس الزمن .. محدودة للغاية ، ولكنها بمقاييس الأهمية جاءت هائلة، فقد هيأت لمصر قاعدة ثقافية علمية قوية للانطلاق بلا حدود إلى آفاق جديدة للنمو والازدهار ، خلال السنوات القليلة التى تلت رحيل نابليون وجيوشه،.. بعد اندحارها على يد الجيش الموحد البريطانى/ العثمانى، حيث تلا ذلك انفراد محمد على الكبير الضابط الالبانى بالجيش العثمانى عام

1805 بحكم مصر، وشرع فى الإعداد لمشروعه الطموح للنهوض بمصر نهضة كبرى، بعد أن اكتشف بنظرته الثاقبة توفر مقومات نجاح ذلك المشروع، استنادا إلى قاعدة نابليون العلمية التى أقامها على أرض البلاد ..،

ونعلم جميعا كيف نجح مشروع محمد على نجاحا باهرا فى نقل مصر من الظلمات إلى النور، وكيف حول هذه الأمة المستضعفة إلى أمة كبرى يخشاها العالم أجمع، بعد أن اتسع نطاق نفوذها حتى بلغ جنوبا منابع النيل وشرقا بلاد الشام، إلا أنه بعد سنوات طويلة من رحيل محمد على، لم يتمكن خلفائه من الحفاظ على منجزات جدهم الأكبر، حيث إنتهى الأمر فى نهاية القرن التاسع عشر بمشهد حزين لمصر فى عهد الخديوى توفيق، فقد كانت مدانه ومحتلة من الجيش البريطانى ..،

إلا أن تلك الاوضاع لم تمنع ظهور حركة وطنية مصرية بدأت فى التشكل والتكوين، وحدت المصريين ضد الاحتلال مع ظهور زعماء سياسيون كبار... أمثال مصطفى كامل وسعد زغلول وويصا واصف، واقتصاديون وطيون عظام .. أمثال طلعت حرب، وعلماء أجلاء .. أمثال لطفى السيد والسنهورى وعلى إبراهيم، وشعراء لن ينساهم التاريخ أمثال ... أحمد شوقى وحافظ إبراهيم، وفنانون ملهمون ... أمثال مختار ويوسف كامل ... الخ وغيرهم...

وأمتد ذلك البنيان الوطنى المتين فى الزمن حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين، حيث برز إلى الوجود أجيال متتابعة من العمالقة فى كافة مناحى الحياة .. السياسية والثقافية والعلمية، نافسوا اندادهم عن جدارة فى بقاع الدنيا الأربعة .. أمثال طه حسين والعقاد ونجيب محفوظ وحسين فوزى ومى زيادة والمازنى وزكى زليقات ويوسف وهبى ومحمد عبد الوهاب وغيرهم وكثيرون، ممن أثرو الحياة الثقافية فى مصر إثراءً منقطع النظير، وتحولت مصر على أيديهم وبفضل المناخ الثقافى السخى، الذى إحتوى من جانب على مؤسستى الجامع الأزهر والكنيسة القبطية بإشعاعهما الدينى على العالم، ومن جانب آخر مؤسسة المجتمع المدنى الثقافية العلمية الرائدة ببيريقها الوهاج، إلى قبلة لكل المذاهب والأطياف لأمم كثيرة فى أفريقيا واسيا .. وحتى فى أوروبا،..

والآن .. وبعد أن تغيرت المعطيات واختلف المناخ جاء وقت التساؤلات ..

فنحن نعيش فى زمن العالم الكبير المتصل ، حيث الحضارات عابرة والثقافات طائفة، وانفتحت المجتمعات المنعزلة للعالم القديم على بعضها البعض انفتاحا كاملا دون تروى أو استعداد، مما يسر ازدهار ثقافة الاستهلاك الرخيص، تلك الثقافة التى لا تتوقف كثيراً عند معانى الهوية الحضارية أو خصوصية المجتمعات، ومع تسارع إيقاع الحياة .. لم يعد لدى الغالبية العظمى من الناس وقتا كافيا للتوقف لحظة لالتقاط الأنفاس أو التفكير والتدبر فيما هم فاعلون، .. من الواضح أن كل ذلك مؤداه تلاشى تدريجى لخصوصية المجتمعات المحلية وتوحيدها فى ظل نظام جديد مخالف لطبيعتها وموروثاتها،..

ليس ذلك الواقع مخالف تماما لتعاليم الرسالة التى حملها حسن فتحى وأقرانه من عمالقة الزمن الجميل؟

ماذا تبقى لنا الآن من رسالة حسن فتحى ؟ سوى ذكرى للبعض .. وتقليد وتكرار ممل فى الشكل دون المضمون للبعض الآخر ؟

إن إحياء ذكرى حسن فتحى لا يجب أن تقتصر على جائزة تحمل اسمه ، بل إنه من الواجب البحث عن كيفية إستكمال رسالته النبيلة، وتطويع مضمونها لمواجهة متغيرات اليوم وغدا ، تلك الرسالة التى تدعو إلى التعلم من الطبيعة والتوافق معها ، وتأكيد خصوصية وهوية المجتمعات المحلية، كل ذلك بطبيعة الحال فى إطار الاستفادة من منجزات ووسائل العلم الحديث المتوافقة مع المنطق والعقلانية ونظام حياتنا.